

التأويل والخطابة من أرسطو إلى الفكر الغربي المعاصر

د. بن صابر محمد

- كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران2

bensabertl@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/04/10؛ تاريخ القبول: 2021/05/26

Interpretation and rhetoric from Aristotle to contemporary Western thought

Abstract:

The concept of interpretation in the intellectual and the oreticalorigins of philosophical discourse has epistemological roots, it is a form of understanding and explanation, so is in function between the dialectic of the intention of the author, or that of the text the concerns of the interpreted.

Mediator initially, followed by the in conxience of the interpretant, What you might have to explain a sentence or even a word, but it can be related to the author of a book, a poem, a thought, author, or the spirit of an era.

Since ancient times, humanity has known the interpretative spirit and has witnessed various transformations throughout history, from the Sophists to Aristotle, who believes that it is useful to write a subject of interpretation, where it devoted the second subject of the Argonauts entitled Hermione and another peri Herménias and another author on larhetorical rhetoric, and according to these authors Modern and contemporary thinkers are launched.

According to Gadamer understanding is not just a scientific method, but it is the human existence entity, and it is through the latter that the existence organizes the world. The process of understanding is developed by following a circle of interpretation that explains the game from the beginning and the end of the game. And consider prejudices which treatment the overall meaning provisions necessary to be aware and evolving correction.

Paul Ricoeur was interested in symbols that are two-way marks, these marks lead us to a hidden meaning that opens to man a wider field than existence, he says: "the symbol gives to think" that shows that the symbol indicates to the thought with. Paul Ricoeur distinguishes three dimensions of the symbol: cosmic dimension, dream dimension, and the poetic dimension. On this basis, what is the relationship of interpretation to rhetoric? How did Aristotle read this relationship? And how did Western contemporary understand it? Is interpretation a rhetorical act intended for meaning or a means of persuasion?

Keywords: interpretation; rhetoric; hermeneutic; explanation; comprehension.

ملخص:

مفهوم التأويل في الأصول الفكرية والنظرية للخطاب الفلسفي له جذور معرفية، فهو شكل من الفهم والتفسير يتراوح بين جدلية قصد المؤلف وقصد النص وسيطا أوليا، يعقبه اهتمامات المؤول الذي قد يكون عمله شرح جملة أو حتى كلمة لكن قد يتعلق الأمر بمؤلف كتاب قصيدة، فكرة، كاتب، أو بالروح السائدة في عصر ما.

فمند غابر العصور عرفت البشرية العقل التأويلي ، وقد شهدت تحولات مختلفة عبر التاريخ، بداية من السفسطائيين مروراً بأرسطو Aristote الذي يرى أنه من المفيد كتابة مبحث في التأويل، حيث خصص المبحث الثاني من الأركان بعنوان هرميونوطيقا peri Hermenias ومؤلفا آخر حول الخطابة larhétorique، واعتمادا على هذان المؤلفان انطلق المفكرين المحدثين والمعاصرين.

فحسب غادامير Gadamer الفهم برأيه ليس مجرد منهج علمي بل هو طريقة كينونة الوجود الإنساني وبها ينظم الوجود العالم. وتتطور صيرورة الفهم باتباع دائرة تأويلية يتم في وسطها تفسير الجزء انطلاقا من الكل والكل انطلاقا من الجزء، وبهذا تعتبر الأحكام المسبقة التي تتناول كلية المعنى أحكاما ضرورية، على أن تكون واعية وقابلة للتصحيح.

واهتم بول ريكور Paul Ricœur بالرموز التي هي علامات لها معنى مزدوج وهي فيحالة حضورها تحيلنا إلى معنى يفتح للإنسان مجالا أرحب من الوجود يقول: "يحملنا الرمز على التفكير" هذا يظهر لنا أن الرمز يشير إلى الفكر بواقع لا يمكن له أن يدركه من ذاته، وقد ميز ريكور بين ثلاث أبعاد في الرمز بعد كوني، بعد حلمي وبعد شعري. على هذا الأساس ما علاقة التأويل بالخطابة؟ كيف قرأ أرسطو هذه العلاقة؟ وكيف فهمها المعاصرين الغربيين؟ هل يعتبر التأويل فعلا خطابيا موجها للمعنى أم وسيلة للإقناع؟

الكلمات المفتاحية: تأويل ؛ خطابة؛ هرمينوطيقا؛ تفسير ؛ فهم.

مقدمة:

مسألة التأويل تبقى مادامت الفلسفة تعتمد على السؤال والبحث في النصوص، فإذا كان التأويل يعتمد قديما على النصوص الدينية والكتب المقدسة، فإن التأويل المعاصر يهتم بالنصوص الدينية والفلسفية والأدبية وتفسير المعاني الباطنية والقراءات الاستكشافية والعمل على تأويل الدلالات الحرفية الظاهرة بدلالات رمزية. والنصوص تحتاج إلى إعادة ترتيبها والكشف عن بنياتها، لهذا يتوقف التأويل على حدود المعاني حتى لا يصبح آلة يجعل من النص يقول ما ليس له علاقة به.

التفكير في مفهوم التأويل من جهة وفي فلسفة التأويل من جهة أخرى يقتضي تزاوج مجموعة من الوحدات التقنية والنظرية لتأسيس الإشكاليات الجوهرية، اللانهائية فالتأويل باعتباره خطابا تتشابك حوله مجموعة من المعارف الإنسانية، وإن اختلفت من حيث الموضوع فهي واحدة من حيث المنشئ لهذا فالأصول الفكرية والنظرية للخطاب التأويلي له جذور معرفية وجينالوجية قديمة.

إن الضرورة المعرفية والمنهجية تجعلنا نؤسس إشكالية طرحها هل يعتبر التأويل عملا خطابيا باعتباره موجها للمعنى أو باعتباره وسيلة للإقناع؟

قبل تشريح وتحليل بنياتها وجب أننبز علاقة التأويل بالخطابة في الفلسفة الغربية، هذا ما نسعى إليه من خلال هذا البحث الذي هو عبارة عن جواهر تعتبر معطيات مفتاحية لنظرية التأويل. ولتفكيك شفرات الإشكالية المطروحة وظفنا المنهج التحليلي لاستخلاص المعاني وشرح المفاهيم وتفسير العلاقة بين التأويل والخطابة. من خلال تصفحنا للدراسات السابقة لموضوع ورقة بحثنا لم نجد دراسات دقيقة حول هذا الموضوع، ولكن وجدنا دراسات حول التأويل، لكننا نعتقد أن موضوعنا استمرار لمشاريع بحثية في طبيعة وأفاق النظرية التأويلية في الفلسفة حيث نستفيد من مختلف الباحثين من أمثال :

مجموعة مؤلفين، (2011). في "التأويل والهرمينوطيقا"، الطبعة الأولى ببيروت، تطرقوا فيها إلى دراسات في آليات القراءة والتفسير هذا الى جانب رسائل الدكتوراه نذكر منها :

أطروحة مليكة دحماني التي تناولت، نماذج من الفلاسفة المعاصرين في القراءة والتأويل، وصدرت بعنوان: " فضول في القراءة والتأويل " الجزائر، سنة 2010، حيث تطرقت إلى دراسة علاقة القراءة بالتأويل في الفلسفة الغربية المعاصرة. وفي أطروحة عواد نجاة كريمة" التلقي وأشكال التأويل"، جامعة وهران 2 سنة 2015 حيث تناولت فيها إشكالية مكونات الدائرة التأويلية عند بول ريكور أيضا حساين دواجي غالي في أطروحة "الهرمينوطيقا وإتيقا التخاطب" بجامعة وهران 2، سنة 2012 التي عرض فيها الوظيفة التواصلية للغة وما إتيقا الحوار عند هبرماس Habermas.

إننا نسعى من خلال هذه الورقة إلى إضافة قراءة أخرى تؤكد على قيمة الخطاب التأويلي في الفلسفة والمقاربة بين التأويل القديم والتأويل المعاصر.

1- مدخل مفاهيمي: (التأويل، الخطابة، الهرمينوطيقا، التفسير، الفهم).

التأويل في اللغة يعني أول بمعنى العودة والرجوع نقول ما أول إليه أي نص عليه أو يؤول إليه أي أرجعه، أو تأول إليهاي ما عاد عليه والكلام إنما يرجع ويعود ويستقر، وهذا المعنى يؤول إلى حقيقته التي هي المقصود به. ورد في لسان العرب أول تعني ما نصه (ابن منظور، دس: 13).

أما اصطلاحاً يعنيصرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه ظاهره إلى ما يخالف ذلك، لدليل منفصل يوجب ذلك، وهذا التأويل لا يكون إلا مخالفاً لما يدل عليه اللفظ ويبينه، وتسمية هذا تأويلاً لم يكن في عرف السلف، وإنما سمي هذا وحده تأويلاً طائفة من المتأخرين الخائضين في الفقه وأصوله والكلام، وهذا هو التأويل الذي اتفق سلف الأمة وأئمتها. يقول ابن حزم: "التأويل نقل اللفظ عما اقتضاه ظاهره وعما وضع له في اللغة إلى معنى آخر، فإن كان نقله قد صح ببرهان وكان ناقله واجب الطاعة فهو حق." (ابن حزم، دس: 23).

و يعرفه سعيد جلال الدين في معجمه المصطلحات والشواهد الفلسفية "التأويل هو استخلاص المعنى الكامن انطلاقاً من المعنى الظاهر أي أنه بعبارة أخرى الانطلاق من المعاني المجازية بحثاً عن المعاني الحقيقية". (سعيد، 1998: 90). ويعرف التأويل في المعجم الفلسفي Jacqueline Russ إيتمولوجياً أنه ذو أصل لاتيني مشتق من المصدر interpretatio أي بمعنى تأويل وتفسير. (Jacqueline Russ, 1991: 150)

و حسب المعجم الفلسفي لأندرية لالاند André la lande يعني الإشارة أو الدلالة الأصلية لتأويل النصوص المقدسة، وهو تأمل فلسفي تأويلي على الرموز الدينية والميثية (الأسطورية) وبصفة عامة كل شكل للتعبير الإنساني في مقابل التحليل الموضوعي ويستعمل التأويل لكل ما هو رمزي (التمثيل والاستعارة) وهو إرادة علمية لكل النصوص الصعبة. (André la lande, 1962: 75)

المفهوم البارز الثاني هو الخطابة وتعني لغة البلاغة والبيان وفن الخطابة يقصد به الإقناع لوجدان السامع بالكلام أو الكتابة. أما اصطلاحاً فهي فن مشافهة الجمهور، وإقناعه واستمالاته بالكلام المعبر والمؤثر على المشاعر. و يعرفها أرسطو: "هي قوة تتكلف الإقناع

الممكن في كل واحد من الأمور المفردة". (الخوفي، 1948: 5). ويعرفها روبرول: "ليست الخطابة سوى إحدى تطبيقات الجدل... من حيث أنها تستعمله باعتباره وسيلة فكرية في الإقناع." (العمرى، 2002: 130).

المفهوم الثالث هو الهرمينوطيقا Hermeneutic لغويا مشتقة من الفعل الإغريقي Hermeneuein وهو فعل يدل على عملية كشف غموض يكتنف شيئا ما أو رسالة، ولقد اشتق الفعل من اسم الإله الإغريقي هرمس. (Hermes (Robert. Audi, 1999: 377) أما اصطلاحا فهي كلمة لاهوتية مدرسية دخلت حقل الفكر من باب النصوص الدينية، مستعينا بمجموعة قواعد ومبادئ تحقق غايتها المتمثلة في رفع الغموض والإشكال في المعنى لا للانكشاف والوضوح بل للقبول والانسجام مع العقائد الإيمانية (Merriam, 2003: 02).

وعرفت الهرمينوطيقا في موسوعة لالاند الفلسفية بوصفها تفسير نصوص فلسفية أو دينية، شرح الكتاب المقدس، وتقال خصوصا على ما هو رمزي. (خليل، 1996: 57).

ويعرف التفسير explication في المعجم الفلسفي Jacqueline Russ إتمولوجيا ذو أصل لاتيني explicatio أي بمعنى عملية التبسيط والتوضيح، فجعل الشيء واضحا هو جعله مفهوما بطرح الأسئلة التالية: كيف هو الشيء؟ لماذا؟ لهذا فإن التفسير يعني شرح لغوي لنص من النصوص. (جميل صليبا، دت: 64) وعند بعض الفلاسفة مثل ديلثاي Dilthey فيبر Fiber (1864-1920) ياسيبر Jaspers (1883-1969) التفسير عبارة عن طريقة مثلى العلوم الطبيعية بالمقارنة مع الفهم الذي يطبع العلوم الإنسانية (Isabelle Mourral, cd: 118).

أما الفهم compréhension في المعجم الفلسفي Jacqueline Russ من أصل لاتيني comprehensio وهي عملية إدراك المجموع (Jacqueline Russ, 1991: 95). ونقول يفهم comprendre أصل الكلمة لاتيني comprehendre بمعنى الإحاطة في المجموع، يعني إحاطة فكريا ثم عرف على حسب منهج حدسي وتركيبى. وبوجه عام يعرف أنه القدرة على الإدراك والتفكير وهو إعطاء المعنى عن طريق العقل من أجل

توضيح فكرة معينة، والفهم هو معرفة تحليلية استدلالية التي تنشأ من تحليل وتفكيك المفاهيم ويعرف وجوديا حركة دياكتيكية للمعرفة التي تفسر الفعل بواسطة المعنى المدلول النهائي انطلاقا من شروطه الابتدائية (la Rousse, sd:1).

ويطلق الفيلسوف الألماني ديلثي Dilthey تسمية الفهم على المسار الذي به نتعرف على باطن وبواسطة رموز متلقاة من الخارج من قبل حواسنا على المسار الذي نتعرف به على شيء نفسي بواسطة رموز محسوسة تمثل تجليا للفهم فيقول كذلك أن الفهم هو أرغانون العلوم الإنسانية (وهبة مراد، 1979: 86) في فلسفة القرن العشرين الفهم هو منهج معرفي يعمل بطريقة حدسية وتركيبية وهو بمثابة الإحاطة بمعنى معين.

إذن بعد ما أسسنا للمفاهيم المحورية في روقة بحثنا وجب أن نبحت عن أصول ونشأت التأويل والخطابة، عبر تاريخ الفكر اليوناني وبالأخص عند أرسطو. ثم المرور عبر بعض النماذج الفكرية الحديثة متوقفين في محطة الفكر الغربي المعاصر. فهل هما مفهومان جديان؟ أم أن لهما نسابة ومنشأ كلاسيكي قديم؟ هل تعتبر أوروبا بيئة التأويل التي تبنته؟ وهل هو نفسه الهرمينوطيقا؟

2- التأويل والخطابة عند السفسطائيين وأرسطو:

ظهر في اليونان القديمة فرقة المتكلمين الذين عرفوا بالسفسطائيين Sophos لتميزهم بالقدرة على الخطابة وتأثيرهم على الجمهور، وقد ساهموا في تطوير الخطابة اليونانية وتطور اللغة وتلقينهم لفصاحة المعاني والدلالات التي تجلب مسامع الناس. والاعتماد على استخدام الجمل القصيرة المعبرة والألفاظ المألوفة والمعاني السهلة والترتيب المنطقي للأفكار، والإلقاء الجيد بصوت مميز مثير للانتباه والاستماع وتوظيف الأسلوب المناسب في الأمور الجدية والمزاح في مواضيع الترفيه، فكل مقال مقام. تمتد الخطابة السفسطائية من الناحية التاريخية إلى خطابة "أومبيدوكل وكوراكس" ذوي الأصل الصقلي، حيث تدين خطابة هؤلاء لخطابة السفسطائيين بتقنيات خطابية مهمة، كترتيب الخطاب والاستدلال بالإخراج، وحجة الكوراكس كموضع ترجيحي. هذه التقنيات نقطة انطلاق الآليات

الإقناعية عند السفسطائية والتي تحولت معها الخطابة اليونانية المنتجة لوسائل الإقناع العملية، إلى أداة للتعليم حيث أصبحت الخطابة فنا للمبارزة الكلامية وألية للتأثير فمع "جورجياس" أصبحت الخطابة فن الأسلوب المؤثر ومع "ترازيماخوس" نظرة في الوجود والسياسة ومع "أونتيفون" طبأ النفوس.

شكلت دروس السفسطائيين مجالا للإقناع ووسيلة لتعلم طرق النجاح في الحياة، وقد احتلت الخطابة مكان هام في نشاطهم والعمل على التأثير في الجماهير بخاصية الإقناع، وانتقلت معهم المعرفة من البحث في الطبيعة إلى البحث في الإنسان، وقد اعتمد السفسطائيين على اللغة في بناء تأويلاتهم التي تقوم على الجانب العملي، كما اهتموا أيضا بتعليم الفضيلة فكان خطابهم يتعرض إلى النقد فسلوكهم براغماتي ذرائعي جعلهم يمثلون خروج على السلوك المثالي الأخلاقي الديني. لقد عارض أفلاطون Platon السفسطائيين ووصف الخطابة عندهم بالمهنة الخسيسة. (يونان، 2011: 37)

لكن مع أرسطو Aristote (322-384) تغيرت الأمور فقد وضع قواعد وماهية الخطابة حيث بدأ كتابه "الخطابة la rhétorique" بعبارة: "إن البلاغة نافعة" قام بوضع أسس للخطابة مناهضة للسفسطائيين فأخذت منعطفًا في مجال تداول الخطاب وممارسته، هذا ما أحل مفهوم الإقناع محل مفهوم التأثير. اعتمد على الإقناع الحجاجي فقد عمل على تقنين القول الخطابي بداية مع الحجج والأسلوب، ثم ترتيب أجزاء القول والاعتماد على ثلاث مواضيع هي مواضيع القول والقائل والمقول إليهم. (أرسطو، 1989: 7)

إن هدف الخطابة هو الإقناع لهذا عمد أرسطو في كتابه إلى التمييز بينها وبين السفسة والجدل، فالإقناع عند السفسطائيين يميل إلى التصنيع في الكلام وزخرفته والادعاءات والتوهّمات، بينما الإقناع الأرسطي يقصي السفسة من دائرة الخطابة. (أوكان، 2001: 100) ويبقى الجدل في علاقته بالخطابة كعلاقة الكل بالجزء فهو أعم منها لهذا لا يتعارض معها يقول ابن رشد: "إن صناعة الخطابة تناسب صناعة الجدل، وذلك أن كليتهما تؤمان غاية واحدة وهي مخاطبة الغير". (العمرى، 2002: 130)

يقول أرسطو: "أن الريطورية ليست جنسا لشيء واحد منفرد لكنها بمنزلة الديالكتيكية، وأنها جد نافعة، وأنه ليس عملها أن تقنع لكن أن تعرف المقنعات في كل أمر من الأمور". (أرسطو، 1989: 8) فالخطابة هنا لا تفرض الإقناع بالقوة كما في الجدل وإنما تشدد دائما البحث عن الحجج والبراهين، إما بصنعها أو الكشف عنها داخل السياق الخطابي.

يعتمد أرسطو على ثلاث مركبات خطابية:

- خطاب المشاعر
- استعارة قصة تثير الفضول
- طرح تجربة حسية مؤثرة هذا النوع من الخطاب نجده في السياسة والدين والشعر.

لقد عرفت الفلسفة الإغريقية البلاغة الخطابية خاصة في فلسفة أرسطو يسمونها "روطوريكاً" أي علم الخطابة والمقصود بها الإقناع بواسطة اللغة وتعتمد على حرية التعبير ولها وسيلتان:

- الإقناع بالاعتماد على المنطق والعلم

- الإغراء تعتمد على قوة اللغة للخطيب (أرسطو، 1989: 9)

يستبعد أفلاطون الخطابة من ميدان المعرفة والعلم بدعوة انها تقوم على الرأي والظن doxa ولا تخدم الحقيقة، ونجد تلميذه أرسطو الذي اهتم بالخطابة لأنها وسيلة حجاجية للدفاع عن الحقوق في التجمعات الجماهيرية والأماكن الشعبية حيث أن المتهم يدافع عن نفسه أما القاضي عن طريق الحجج التي يستعملها في الإقناع بواسطة اللغة. وتشترط الخطابة وجود الحرية التي تسود بواسطة مجتمع ديمقراطي يخول للفرد التعبير عن أفكاره ومواقفه بكل حرية والدفاع عنها.

اكتسحت الخطابة الفضاء العمومي اليوناني خاصة في ما سميت بالدولة المدنية polis-cite التي كانت فيها المجادلات السياسية قائمة، وقد كان الفضل الكبير لسفستانيين في تطور الخطابة اليونانية، لأنهم تميزوا بالخطاب القوي فأصبحت مهنة لمن يريد المراتب العليا في المجتمع، لكن أرسطو صاغ نظرية جديدة في القول الخطابي إنها نظرية الحجاج وأرسى معالمها في مؤلفه الخطابة. فأصبح مؤسسا ومرجعية لها يقول ابن رشد: "الخطابة الأرسطية قوة تتكلف الإقناع

الممكن والعمل على جعل الإقناع غرض الخطابة الأساسي". (صمود 2019:59)

يركز أرسطو على ثلاث قيم العدل *juste* والخير النافع *l'utile* و *le beau* والجميل *bien* فهي قيم مركزية في النظرية الخطابية يقول: "لكل نوع من الأنواع الثلاثة غاية خاصة مختلفة، ولما كانت أنواع الخطابة فهناك ثلاث أنواع من الغايات". (أرسطو، 1989:37) تهدف الخطابة الأرسطية إلى خدمة القيم الثلاث (الخير، العدل، الجمال) كما تعمل على ترسيخ الديمقراطية والتسامح والحرية. ويقسم أرسطو الخطابة إلى ثلاث وتقابلها ثلاث غايات حيث يتناول الجنس الاستشاري ما هو مفيد أو ضار والخطيب القضائي مهمته نشر العدل، أما الخطابة الاحتفالية ترتبط بالمدح أو الذم يقول: "فمن الاضطرار إذ يكون الكلام الريطوري ثلاثة أجناس: مشوري، ومشاجري، وتثبيتي". (Bonafous, 1856:29) وتعتمد الخطابة عند أرسطو على:

-وسائل الإقناع أو الحجاج *Eurésis*

-الأسلوب أو البناء اللغوي *lexis*

-ترتيب أجزاء القول *taxis*

يقول أرسطو في المقالة الأولى من كتابه الخطابة: مهمة الخطابة ليست الإقناع بقدر ما هي البحث في كل حالة عن الوسائل الموجودة للإقناع والأمر نفسه ينطبق على سائر الفنون، فمثلا ليست مهمة الطب إعادة الصحة إلى المريض، وإنما بلوغ هذه الغاية قدر المستطاع. (أرسطو، 1989:18) إذن الخطابة صناعة تبحث في الحجج التي تحقق الإقناع. كما يقسم أرسطو الحجج إلى ثلاثة أنواع *éthos*, *pathos*, *logos*

-الحجج الخلقية الذاتية *pathoset éthos*

-الحجج المنطقية الموضوعية *logos*

هذا يعني أن الإقناع يعتمد على طريق منطقي موضوعي عبارة عن حجج نصية وطريق ذاتي تجسده العواطف والانفعالات، إذن نحن أمام مستويين مستوى الأشياء ومستوى العواطف.

لقد مثل أرسطو الدور الأخير من أدوار الحضارة اليونانية حيث وصلت الفلسفة على يديه إلى قمة العقلانية، وقد حاول إقامة مذهب ميتافيزيقي يستبعد نهائيا كل تفسير أسطوري.

فهم أرسطو التأويل بوصفه تفسيرا حيث يعرفه ببيان أو إعلان لا يتكون من إدراك مجموعة من الوقائع، ولكن من صنع انطباعات للنفس، يمكن حينئذ أن تسمى مفاهيم، فالهرمينيا عنده تشير إلى العمل الذي يقوم به الذهن، إذ يضع العبارات التي تتصل بصدق شيء ما أو بكذبه. إذن التأويل بهذا المعنى هو العملية الأولية للفكر إذ يصوغ حكما صادقا عن شيء ما. (تايلور، 1992: 20).

مارس أرسطو أربع آليات للتأويل لفهم نصوص الفلاسفة السابقين عليه خاصة تأويله للفلاسفة أصحاب النزعات الأسطورية والدينية وتتمثل هذه الآليات في:

- الفهم المسبق للنص
- اغفال سياق النص (المسافة الزمنية)
- الاختصار والإيجاز والحذف
- إعادة صياغة النص

لم تعد مهمة التأويل عند أرسطو هي صياغة الوجود الخاص بالنص وحمائته من القول عليه، بل أول مذاهب الأيونيين تأويلا طبيعيا خالصا يتفق مع وجهة نظره في العلل الأربعة. كما اعتمد لغة التجريد والبرهان العقلي الخالية من شوائب اللاهوت والأسطورة في صياغة النصوص في لغة أخرى غير لغتها الأصلية. (تايلور، 1992: 21).

يرى أرسطو أنه من المفيد كتابة مبحث في التأويل بمعنى هرمينوطيقا وقد سمى الجزء الثاني من الأورغانون Peri Hermenias أي فن التأويل الذي يقوم على المنطق مما يجعله يشيد المعنى الأحادي واليقين المطلق ويقر علم الدلالة بأن: قول شيء ما بخصوص شيء ما هو بالمعنى الكامل والقوي للكلمة تأويل. (ريكور، 2003: 31) حسب أرسطو الإثبات هو بيان أن شيئا ما يتعلق بشيء آخر والنفي بيان أن شيئا ما منفصل عن شيء آخر، فكل خطاب يقول شيئا بخصوص شيء معين يؤول في نهاية الأمر إلى قول شيء آخر. إن الكلمة الدالة هي إذن التأويل. غير أن هذا الخطاب الذي يذكر شيئا بخصوص شيء

لا يهم أرسطو إلا من حيث كونه موطن الحق والباطل، فالمشروع المنطقي يحول دون تطور علم الدلالة، ويعرقل الطريق المؤدي إلى هرمينوطيقا الدلالات المزدوجة المعنى، هذا التواطؤ يتأسس على الذات الواحدة والتي هي عين ذاتها واستنادا إليها يتم تنفيذ الحجج السفطائية: "ما لا يعني شيئا واحدا لا يعني شيئا البتة". هكذا تبقى المهمة معلقة لتأسيس نظرية في التأويل تعتمد على تعدد المعاني واختلافها وعلى الوعي بصعوبة تجاوز التضارب القائم بين الدلالات. (عادل، 2003: 31)

إذن كيف انتقل هذان المفهومان في المسيرة الفلسفية الفكرية؟

3- التأويل والخطابة في العصر الوسيط والحديث:

عرفالعصر الوسيط بعصر الظلمات والحزن، لكنه في الوقت نفسه كان عصرا غنيا بالبحث الفلسفي واستعمال الحكمة في المجال التداولي، وكانت مهمة رجال الكنيسة التفكير الديني وقد اعتمدوا على اللغة والخطاب في اقناع الناس،الذين كانوا يتلذذون بخطاباتهم وصلواتهم ودعواتهم غذاء روحيا ، واستعمالهم للألفاظ القوية التي تأخذ بمجاميع القلوب، كما كانت العبارات العاطفية التي لا يلجأ بها إلى العقل بل إلى الشعور، وتوظيف عبارات تحدد معاني خاصة بمعرفة الإله والدلالة على وجوده وتميز بين الخطاب الإلهي والإنساني، إن اللغة الدينية تحمل معاني غير المعاني المرادة في اللغة العرفية، فمثلا الكلمات الدالة على الإله وسائر الأشياء لا تكون بمعنى واحد مثل كلمة الخير، يشترك فيها الإله والإنسان في اللفظ لكن تختلف في المعنى، وبهذا تغيرت المفاهيم الخطابية إبان انتهاء الآداب القديم وانتصار آداب العصور الوسطى. (زكي، 2000: 52)

ساد في العصر الوسيط مفهوم المستويات الأربعة للمعنى في تفسير النصوص المقدسة المعنى الحرفي والرمزي والروحي والخلقي، وقبل القديس أوغسطين سادت المحاور الثلاثة التي يدور عليها تفسير النصوص المقدسة هي الالتزام بحرفية النص literal أي ظاهر اللفظ والمغزى الخلقي moral أي مبادئ السلوك المستقاة من النص، والدلالة الروحية spiritual أي الخاصة بالإيمان والراحة النفسية.

قام أوغسطين بتعديل هذه المستويات فأصبحت المعنى الحرفي والمغزى الأخلاقي والدلالة الرمزية، ثم التأويل الباطني Anagogical أو الروحي للنص المقدس بمعنى الشيء في مفهوم القيمة الروحية للنص فجعله استشفائيا يقوم على ما توحى به الكلمات لا على ما تعنيه وأضاف الدلالة الرمزية. (عادل، 2003: 81) في مرحلة العصور الوسطى المسألة التأويلية نستطيع تلفيقها بثلاثة أبعاد أو مواقف على حسب التسلسل الأركيولوجي بمعنى يمكن القول أن التأويل له ثلاثة أبعاد:

- 1- ما يمكن تسميته بالرمزية الطبيعية، وينطلق أساسا من أصل اللغة لأنه يختص بإيجاد مميزات القول الشعري والأسطوري وبالتالي التركيز على بنية تعبيره، فالموضوع التوراتي الخاص بالسقوط و المنفى سيفهم بفضل قوة كلماته الموحية والمترجمة لها في كل فترة من التاريخ، فالرموز تقبل للمعنى المستتر للنص.
- 2- الفهم يعتمد على التكرار وتكون النماذج تلي مرحلة الرموز والفهم سيكتمل مع اللغة التي هيضوء الانفعالي المفتاح الذي يسمح بإعادة اكتشاف عالم الرموز نفسها سنجد الأشكال المختلفة للتعبير عن التجربة الأصلية المتعلقة بموضوع المنفى.
- 3- الموقف الثالث طابعه وجودي، مرتبط بفهم التجربة الأولية نفسها كانت مهمة الهرمينوطيقا دائما إصلاح الاتفاق الغائب أو المختل. يمكن لتاريخ الهرمينوطيقا أن يؤكد حضوره وكدليل على ذلك القديس أوغسطين Augustin (430C - 354C) عندما كان من الواجب أن يتصالح العهد القديم مع الرسالة المسيحية أو في النزعة التطهيرية Protestantism التي واجهت نفس المشكلة.

يشير التأويل إلى فن تأويل النصوص المقدسة، فالأمر يتعلق بمؤسسة قديمة جدا سمحت لأباء الكنيسة من اكتشاف الوعي المنهجي فنجد أوغسطين في النظرية الدينية Doctrina Christina عمل الدوغمائية المسيحية، أتي من الضغط الموجود بين التاريخ الخاص للشعب اليهودي والذي فسر الكتاب المقدس الأول على أنه معنى لتاريخ السلام وبين الوجود العالمي للمسيح في الكتاب الجديد. يذكر

في نظريته كيف أن الروح L'esprit ترتفع فوق المعنى الإنساني والأخلاقي إلى المستوى الروحاني Spirituel و بالتالي فهو يحل المشكلة الدوغمائية ملخصا إرث التأويل القديم. اهتمت الهرمينوطيقا بإشكالية قراءة الكتابات المقدسة اللاهوتية والنصوص المقدسة مما دفع ب ماتياس فلاسيوس Matias Flacius (1520-1575) إلى الثورة على سلطة الكنيسة، في مسألة مصادرة حية قراءة النص المقدس ليقترح أولية التراث في تأويل بعض المقاطع الغامضة من النص و طابع الاستقلالية في فهم محتوياته بمعزل عن كل إكراه. لكن ما هي المواضيع التي يؤسس لها التأويل عند ماتياس فلاسيوس؟

إن تأويل الإصلاح عند فلاسيوسيلج على أن رسالة الكتاب المقدس كانت مغايرة للفهم الطبيعي المسبق لدى الإنسان أصبح الإيمان هو وحده الذي يسمح بالتكفير عن الخطايا، ومع الوقت تزايد دور الإيمان في المعتقد المسيحي والأهمية المتزايدة في الكنائس المسيحية لتفسير الكتاب المقدس من خلال الخطب يظهر ما هو الدور الحقيقي للتأويل اللاهوتي. في مرحلة الأنوار تم التخلي تقريبا عن فكرة الاتفاق ومساندة فكرة أن الفهم المثالي لنص معين غير ممكن إلا عن طريق التفسير التاريخي.

يرى كل منسبينوزا Spinoza (1677-1632) وكلادينوس Chladenius (1710-1759) أن فن التأويل يعني الفهم الأساسي للنص أي فهم النص هو فهم حقيقة هذا النص على أن يشتمل هذا الأخير (أي النص) على معايير لغوية وفنية وكذا نفسية لحل بعض الإشكاليات الغامضة كمشكل المعجزات Miracles في النص المقدس. فأول كتاب ذكر لفظ التأويل كان كتاب دانهاور Danhawuer سنة 1654، وفي هذا الكتاب نتمكن من التمييز بين التأويل الديني الفيلولوجي والتأويل القانوني. (Hans Georg Gadamer, cd:87)

لقد مثل فكر التنوير كلادينوس الذي نادى بتأسيس مبحث منفصل للتأويل، يتميز عن فقه اللغة (الفيلولوجيا) ونقد النصوص، وكان سؤاله الأساسي هل بالإمكان وضع قواعد أو أحكام لعملية

التأويل؟ يجيب في قوله: " نعم إذا ما اتبعنا مجموعة من القواعد السديدة، فمن الممكن أن نصل إلى التفسير الصحيح والكامل". إن كلادينيوس لا يعتبر التأويل عملية استقرائية بل عملية أقرب إلى الاستنباط أي استنباط شيء من النص باستخدام مجموعة من القواعد. و تمثل الهرمينوطيقا عنده فن تقني ضروري للدراسات التي تعتمد على تأويل النصوص والتاريخ والشعر واللاهوت والقانون والإنسانيات. وتضمنت الهرمينوطيقا عنده جانب بيداغوجي تربوي حيث تجلت الطبيعة التربوية للتأويل لدعوته لأن يكون تفسير النص مكيفا بحسب جمهور المتلقين بذلك يرتبط التأويل عنده بفن الخطابة وعلم التربية ارتباطا وثيقا. (عادل، 2003: 141)

فريدريش أست Friedrich ast أحد السابقين المباشرين لشلايرماخر Schleiermache (1768-1834) وضع مفهوم خاص للهرمينوطيقا، على أنها تؤسس للانسجام أو بالأحرى التوافق بين الحضارتين القديمة والمسيحية. أي ما هو صحيح في الحضارة القديمة منظور إليه من زاوية جديدة والتقليد المسيحي. بمعنى أن الأمر هنا لا يتعلق بتركيب بين سلطة التقليد والعقل الطبيعي، بينما بتركيب عنصرين من التقليد متنازعان في مقابل تصالهما.

إن مهمة التأويل الفلسفي للنصوص القديمة تتمثل في كشف كل قيمة البعد وفي إبراز أهميته الأساسية، لمجمل فهمنا للعالم في كل تجلياته بدءا من عمليات التواصل بين البشر وصولا إلى عمليات التلاعب الاجتماعي، ومنذ تجربة الفرد في المجتمع أو التجربة التي يجريها على المجتمع، ومنذ الزمن الذي دخل فيه الدين والقانون، الفن والفلسفة وصولا إلى الطاقة التحريرية للتفكير الذي مارسه العقل الثوري.

4- القراءة الغربية المعاصرة للتأويل والخطابة:

وصل الفكر الفلسفي في القرن الثامن عشر والتاسع عشر إلى طريق مسدود فقد جرى توهين الاستدلالات العقلية الجافة غير ذات الروح وفقدت بذلك أساسها وقاعدتها في ضل هذه الأوضاع، فظهرت النهضة الرومنطيقية ومناهج جديدة لتأويل الكتاب المقدس، مع الانتقادات الشديدة له وكذلك المذهب التجريبي الديني يقول

شلايرماخر: "إن مركز ثقل الإيمان يتم نقله من الكتاب المقدس إلى باطن قلب المؤمن حتى يتمكن من تحرير جوهر الدين من الآفات، والرسالة الأساسية للكتاب المقدس تكمن في إحياء التجربة الدينية للإنسان، لا إلقاء مجموعة من القضايا والإخبار غير قابلة للخطأ عن طريق الأنبياء". (مجموعة مؤلفين، 2011: 17)

اعتمد شلايرماخر التأويل في الدراسات الإنسانية والتاريخية وأعطى ديلتاي Dilthey توجها منطقيا مطبقا في مختلف العلوم الروحية بالاعتماد على منهج الفهم لتجنب منهج الشرح الخاص بالعلوم الطبيعية. لقد أراد أن يجعل من الهرمينوطيقا منهجا حديثا مطبقا في العلوم الإنسانية وفن التفسير (مجموعة مؤلفين، 2011: 18)

مع غadamير أصبح التأويل تفكير نقدي على أكثر تأويلات الوجود الإنساني وهدف التأويل هو كشف الحقيقة العميقة والأصلية التي يتضمنها النص يقول: "لا يحاول المؤول وبحضور نص ما تطبيق معيار عام لحالة خاصة، وإنما ينصب اهتمامه على الكشف عن دلالة أصلية تماما متوارية في المكتوب المراد معالجته". (غadamير، 1999: 89) يشير غadamير إلى المسافة الزمنية بين الموضوع والمؤول التي تفهم بها الموضوع وقراءته قراءة جديدة. يختلف تأويل بول ريكور عن هرمينوطيقا غadamير التي لا تعبر المنهج أي اهتمام لكنه وضع قواعد التفسير يقول: نشأ مفهوم الهرمينوطيقا في بداية الأمر عند تفسير النصوص الدينية ومن بعدها النصوص الدنوية وهذا ما شكل الهرمينوطيقا كعلم قواعد التفسير. وقد اعتبر النص رموز تجعل المعنى أوليا وآخر ثانويا، وبالأول نكشف من الثاني هكذا نبلغ فائض المعنى. ومن خلال الثنائية الرمزية يتمكن المؤول من الانفتاح على عالم النص وإدراك معانيه المتعددة. (ريكور، 2003: 97)

بذلك لفظ التأويل ليس جديدا، فقديما كان يعني التغلب على مسافة زمنية أو لغوية ما من المعنى ومع المحدثين وخاصة ديلتاي اكتسب هذا المصطلح حمولة جديدة تتعلق بوضع قواعد كلية لفهم النصوص وبالتحكيك بين التأويلات وكذا بإعلاء التفسير Exégèse إلى مستوى العلم. (حسن، 1992: 09)

ترتبط الهرمينوطيقا لغويا بالإله هرمس Hermes رسول آلهة الأولمب الرشيق الذي كان يتقن الآلهة وينقلها إلى البشر. وقد ذكر في الإلياذة و الأوديسا أن هرمس كان ينقل الرسائل من زيوس كبير الآلهة إلى الناس و الهرمسية تقليد ديني وفلسفي تنسب إلى هرمس "مثلث العظمة" الذي يعتبر شخصية دينية ويعتقد بعض المؤرخين أنه النبي إدريس عليه السلام ويعتقد آخرون أنه إله الإغريق. وتعتمد الهرمسية على وجود إله غير محسوس يشترك فيه الكائنات، كما تؤمن بالتقصص والعودة إلى الحياة بعد الموت للارتقاء إلى الإله، ويشرح هرمس أن الحكمة والمعرفة تولدان الخير والشر. وتنقسم الحكمة عنده إلى الخيمياء التنجيم، السيمياء فالخيمياء تعني التحويل الروحي للحياة أما التنجيم فهي حركة الكواكب التي يمثلها الإله والسيمياء هو السحر الإلهي الذي يتحكم في الوجود.. (هيدغر، 2004: 253)

إن الصلة الانيمولوجية بين الهرمينوطيقا وهرمس واضحة كونها فن الفهم وتأويل النصوص، وهذه مهمة هرمس وقد تطرق مارتين هيدغر Martin Heidegger (1889-1976) في كتابه: "في الطريق إلى اللغة" إلى الصلة بين الهرمينوطيقا وهرمس يقول: "إنه لما يحمل أعماق المغزى وأبلغ الدلالة أن هرمس هو رسول الآلهة، وليس مجرد رسول بين البشر بعضهم بعض ذلك أن الرسالة التي يحملها هرمس ليست رسالة عادية، إنه يحمل الخبر الصاعق والنبأ الجلل". (هيدغر، 2004: 256)

يفضل هيدغر كلمة Hermeneutics على كلمة Interpretation لأن الأولى تشير إلى تفسير نصوص قديمة من لغة أخرى إلى لغة الفهم كما أن مشروع هيدغر ينطوي على محاولة استعادة فهم الوجود واسترداد الوعي به، والذي فقدناه منذ زمن أفلاطون وأرسطو وحسب هيدغر فإن رسالة هرمس مزلزلة للعالم فهي تحدث تحولا في الفكر. (هيدغر، 2004: 260)

بعد هذا التأويل، فإنه سيأخذ معنى أكثر اتساعا من وضع قواعد عامة لفهم النصوص وذلك نتيجة التحويل الذي قام به هيدغر من الإبيستمولوجيا إلى الأنطولوجيا وهكذا ما يقصد بالتأويل ضمن هذا

الأفق الجديد هو فلسفة التأويل التي تتجاوز المنظور الميتودولوجي لتتصعد إلى شروط إمكانه والتي تتناول الطابع اللغوي للتجربة البشرية من جهة ما هو محايث لها وللوجود في العالم. (حسن، 1992: 10).

يرى كل من هيدجر Heidegger غادامير Gadamer ريكور Ricœur أن التأويل لا يمثل الإشكالية الحقيقية في كل هرمينوطيقا والمتمثلة في البعد الأنطولوجي للكائن الذي يتأول خطابا داخل العالم. هذه الإشكالية في نظر كل من ريكور وهيدجر ذات طابع وجودي تتمثل أساسا في فهم الكائن في العالم. (حمادي، 1994: 135).

يقول ريكور: "أن كل عالم من العوالم قائم على اللسان منفتح بذاته على كل فهم ممكن وهو قابل للإشباع اللامحدود، وهكذا يصبح كل قول يقرأ تأويلا من خلال التجربة اللامحدودة التي يشير إليها وليس فقط كنص من جملة وحدات مغلقة، نقول من خلال جملة الوحدات اللامحدودة ونعني بذلك تجربة القائل المتكلم، وفي ذات اللحظة تجربة المتلقي، وهذا ما جعل غادامير يجعل من هذا التأويل الأنطولوجي لحظة منهجية يمكن أن يقام على أساسها هرمينوطيقا عامة ذلك أن كل لغة لها من الإمكانية بأن تقول كل شيء، لذلك فإن كل لغة ليست الحد من تجربتنا وإنما هي فقط واسطة تقربنا من الأشياء" (حمادي، 1994: 137).

إذن في التأويل الحديث والمعاصر هنا تتمثل أعمال كل من شلايرماخر، ديلتاي، هيدغر، غادامير، الذين يتقاسمهم المشكل التأويلي. يرريكور أن هناك اهتماما أنتجا عبر التاريخ الحديث للتأويل أحدهما يمثل كل منشلايرماخر وديلتاي وينطبع بالتوسيع التدريجي للنظرة التأويلية، بمعنى إستعاب تأويل عام متضمن لتأويلات جهوية وهذا الاهتمام يلحق بالعمل الإبتيمولوجي للتأويلية بمعنى أكثر عمقا هو الاهتمام الأنطولوجي الذي يتوقف معه عن كونه مجرد ضرب من ضروب المعرفة ليصبح إحدى كيفيات الوجود. (حسن، 1992: 31).

مع رواد التأويلية الحديثة أي كل من شلايرماخر وديلتاي حيث أول من عمل على إخراج التأويل من جهوياته، وكذا أول من قام

بمحاولة استخراج مشكل عام للفعالية التأويلية باختلاف النصوص التي يمكن أن تشتغل عليها، ففيلولوجيا النصوص الكلاسيكية المنحدرة من العصور اليونانية اللاتينية وكذا نفس النصوص المقدسة للعهد القديم والجديد هما ضربان للتعامل مع النصوص قبل شلايرماخر.

إذا قلنا في هذه خطوة حقيقية للتأويلية الحديثة التي تتبلور فيها أهم ملامح المشكل التأويلي، إلا أنه وسم بطابع نفسي متمثل في التخمين والتكهن، وذلك لوقوعهم تحت تأثير نزعتين متنازعتين المتمثلتين في النزعة المتولدة من الكانطية والنزعة الرومانسية. فالأولى نجلب من خلال بلورة قواعد كلية صالحة للفهم وكذا من خلال مشروعهم في دحر عدم الفهم *mécompréhension* والثانية مايتبين من خلال دعوتها إلى معاشية حية لصيرورة الإبداع، وكذا من خلال ادعاء إمكان تقمص الحياة النفسية للآخرين والقدرة على فهم كاتب ما أكثر مما يفهم هو نفسه. (حسن، 1992: 33) ومن التمزق بين هاتين النزعتين المتعارضتين سيشق شلايرماخر ومن بعده ديلتاي أعمالهما.

يرى شلايرماخر أن هناك ضربين من التأويل، لكل واحد طابعه فينتج الأول ويسميه بالتأويل النحوي *L'interprétation grammaticale* أو الموضوعي بمعنى تحديد دلالة الكلمات إنطلاقا من الجمل التي تركيبها. التأويل اللغوي هو إذن فن إيجاد المعنى الدقيق لخطاب معين إنطلاقا وبمساعدة اللغة (Schleiermacher, 1977: 117) ويتبنى الخصائص العامة للخطاب في ثقافة ما ويهتم بخصائص لغوية متميزة ومستقلة عن المؤلف، وينتج الثاني ويسميه بالتأويل النفسي أو التقني *l'interprétation psychologique* ويعتمد على بيوغرافيا المؤلف بمعنى حياته الفكرية والعامة وكذا الدوافع والحوافز التي دفعته للتعبير والكتابة. أي يهتم بالفردانية ويرشلاير ماخر أن هذا التأويل تخمينيا أو تكهنيا وبالتالي المقارنة هي الطريقة المنهجية له بمعنى يميز الفروق التي تميز كل فردية عن غيرها. لا يمكن القيام بالتأويلين في نفس الوقت كما يرى هو أما الإهتمام بالفردية أو بالعلم بالرغم من أنه يحكم بالسلبية على التأويل النحوي الذي يخدم النوع الثاني.

والفصل بين التأويلين تضافر مع شلايرماخر مع صعوبة الفصل الحقيقي أيضا بين الطابع التخميني والتكهنّي، لإدراك الذات الفردية وبين ما يحاول السيطرة به على هذه الصعوبة من مسلك للمقارنة (حسن، 1992: 34). علاقة النص والعمل الفكري بذاتية مؤلفه بوضعها كروية جديدة وتحويل اهتمامنا من البحث عن الذوات المتخفية في النص نحو العالم يفتحنا عليه النص، يرى ريكور أنه يمكننا تجاوز هذه الصعوبات في نفس السياقتين يعالج الشكل التأويلي من الزاوية الإستمولوجية، حيث دمج العلوم التفسيرية والتأويلية في مجال العلوم التاريخية، وبذلك توسعت أفق التأويل واتسمت أعماله بتعارض كبير يتمثل بين تفسير الطبيعة وبين فهم الروح والتاريخ.

بذلك نفهم عملديلتاي على أنه نظرية للمعرفة لأنه وجب عليه تطوير المدرسة التاريخية ونقد العقل التاريخي بشكل واعي. يعتبر ديلتاي واضع الفلسفة في التأويل لأنه تجاوز نقطة الإنطلاق الإستمولوجية وفي نشاطه لإيجاد أساس لعلوم العقل، كان في صراع مع المدرسة الإستمولوجية التي حاولت تأسيس علوم عقلية وفق وجهة نظر كانطية جديدة فلسفة القيم المحللة من طرف ويندلبان (Windelband 1848-1915).

رأى أن التجريدية طعن على الموضوع الإستمولوجي وبالتالي بحث عن الموضوعية في علوم العقل، والعالم التاريخي ليس تسلسل الحوادث المعاشة بشكل ذاتي كما هو في التاريخ الذاتي Autobiographie فلتسلسل التاريخي دال signifiant متجاوز كل حادثة ذاتية إنه النص الغريب الذي من شأن فن التأويل الهرمينوطيقا أن تفسره، وبذلك ديلتاي بحث عن كيفية الانتقال من علم النفس إلى التأويل، إلا أنه من المتعذر علينا الإمساك بالحياة النفسية للأخرين في تغييراتها الفورية وبنائها يكون من خلال تأويل العلامات التي تتخارج عبرها أي تأويل تغيرات الحياة عن طريق الكتابة، لأن تأويل المشكل السيكلوجي ولو بتوسط العلامات يعني التوضع في الحياة النفسية للأخرين.

لمجاوزة نقص عمل ديلتاي علينا أن نتخلى عن ربط قدر التأويلية بالتفسيرات النفسانية وأن نربط النص بالعالم الذي يفتح عليه وكذا بمعناه الداخلي لا بنائية مؤلفه أو بعالمه النفسي. (حسن، 1992: 35) فالمبدأ الأساسي للهرمينوطيقا أو فن التأويل الحديثة مع ديلتاي هو فهم النص انطلاقا من النص نفسه لا المذهب الذي تنتمي إليه. إن الفهم يستند في هذا الإطار لا على التفسير اللاهوتي في معالجة النصوص وإنما بالتطبيق المنهجي لقواعد التأويل من لغة ونحو ومنطق وترجمة. (شوقي الزين محمد، 1996: 06) جزء من تطور التفكير التأويلي مقيد بمشكل التاريخانية وتبدأ مع ديلتاي حيث ظهرت مؤلفاته في العشرينات كمرآة عاكسة لأفكار ترولتس Troeltsch وارتباط ديلتاي بالتأويل الرومانتيكي أبرز انتقادا لذى الموضوعانية التاريخية الكونت يورك Beattie (1735-1803)، وهذا خلال علاقته بالنهضة الفلسفية الهيجلية لعصرنا كما ترك أثرا مرئية في البحث التاريخي والفيلولوجي. هيدغر لم يصحح المسار الفينومولوجي فحسب ولم ينتقده من التجريدية الهوسرلية بل أعاد إلى الفلسفة، دور الكاشف لمعنى كل ما ليس له معنى من الظروف والأحوال والظواهر التي تغمر الحياة الإنسانية.

إن هيدغر مؤسس دور العقل وهو بذلك يعتبر مؤسس منهج التأويل في الفكر الغربي المعاصر، على ألا يفهم من التأويل ما يحيط بهذا اللفظ من مصطلح تراثي في اللغة العربية بل ينبغي إعطائه معنى دلالي بإعادته إلى جذوره فعل أول أي أرجع موضوع التأويل إلى دلالاته الأولى. (حسن، 1992: 36) في الواقع فقد اكتشف غادامير ذلك التحول الحاسم في فهم الفلسفة من حيث أن هدفها إعادة تأويل المعرفة عبر تجلياتها النظرية و اللغوية والعملية، وقد حاول أن يطبق التأويل من حيث هو أصل المناهج كلها على العلوم الإنسانية واللغوية وأيضا هي مناهجها بما يمكن أن تقدم من تأويل متكامل لواقع الإنسان.

فحاول في كتابه "الحقيقة والمنهج" أن يثبت كلية التأويل عندما أعاد تحليل المنهجيات في الفن كما في العلوم الإنسانية التي يدعوها علوم الفكر، ثم عبر الفعالية اللغوية وقد رأى أن اللغة حاضرة في أساس كل علم عبر تشكيل الأسئلة والفرضيات، التي تحاول

إعطاء الأجوبة خاصة أن التأويل الفلسفي الذي يقصده غادامير يتناول كلية الثقافة من أجل إعادة قراءتها واكتشاف متغيراتها عبر تحولات الواقع ماضيا وحاضرا.

لعل أهم مهمات التأويل هي مراجعة القراءات الكبرى لثقافة التأويلات الشمولية اعتبارا من اليونان وصولا إلى مذاهب هيجل (1771-1831) ماركس (1818-1883) Marx فرويد (1856-1939) Freud فهيدغر وهو ما حاول أن يحققه غادامير نفسه عليه ولكنه يطمح إلى تجديد الهم الفلسفي الأصل الفكري أو المناقشة الدينية قدم مشكل التأويل كموضوع أولي لأنه سبب أفكار دينية ودوغمائية.

كان يجب إيصال الإرث الديني التاريخي وبذلك نجد تعليق كارل بارت Karl Barth (1886-1968) في كتابه "L'esprit aux romains" أول نقد ثوري على علم الدين الليبرالي وهذا الأخير لم يكن ليتهم على التاريخ النقدي، كما يتهم على علم الدين المتميز بالسهولة في امتلاك النتائج التاريخية و اعتبارها قراءة مقدسة ومن هاته الفكرة يعتبر هذا الكتاب نوع من الثورة التأويلية *manifeste herméneutique*. يبقى النقاش حول مشكل التأويل مجدد من خلال الإرادة *Intention* الدينية والتاريخ النقدي أمام هذه الحالة، كما تبينها أبحاث كل من أوتو أبلينغ Otto Abling فوتش Fuchs يضعون في المرتبة الأولى وبشكل ضئيل ميزة البحث الديني على المساعدة، التي يمكن أن يقدمها التأويل للإيمان الديني الذي يريد أن يتخذ موقفا إزاء تطور المشكل التأويلي داخل التفكير القانوني لا يمكنه تعميق عمل رجال القانون ويتساءل دائما حول ما إذا كان من الممكن أن تحل مشكلة التطبيق *La concrétisation* في القانون.

سنة 1953 كورت إنجيش Kurt Engisch يرى أن هذا الموضوع يكون قابلا للفهم في الإطار التاريخي، وهنا يظهر تاريخ القانون الخاص في العصور الحديثة لفرانس وياكر Franz Wiechert (1887-1950) منهجية علم القانون كارل لورنز Karl Lorenz (1964-1904) من هنا نحكم على أن المجالات التالية العلوم

التاريخية الفيلولوجية علم الدين والقانون كيف أن النقد الوضعاني أو الموضوعي قد أعطي للتأويل معنى جديد.

نظرية عامة حول

التأويل *teoriageneraledellainterpretazione* هو عنوان كتاب لباحث إيطالي إميليو بيتي Emilio Beattie، حيث في هذا الموضوع من بحثه حاول كيف يستنتج الكلية من الفكر التأويلي، ابتداء من ويلهيلم فون هومبولد Wilhelm Von Humboldt وشلابر ماخر، بحث بيتي Beattie عن الوسط الذي يمكن أن يوجد بين العنصرين الموضوعي والذاتي لكل تفكير، ومن ثم وضع مجموعة من المبادئ التأويلية وعلى رأسها إستقلالية معنى ما كان يريد قوله المؤلف يكون من خلال النص نفسه.

الزمن الحاضر للفهم مبدأ آخر من مبادئه، أي التكيف مع الموضوع ويقصد منه أن علاقة المؤول بالمكان الذي يكون فيه مهم لكل حقيقة تأويلية، كما أنه لا يرفض الرأي الذاتي. ويرى أن الفهم هو إعراف وإعادة بناء للمعنى، ويقول من الفكر الذي من خلال أشكال جعل الأمر موضوعها يتكلم إلى الفكر الذي يحس أنه مشخص في إنسانيتها المشتركة، إنه جمع وربط هذه الأشكال مع الكل الداخلي الذي ولدها أما هي فتركته أنها عملية تدخل أو إدخال لهذه الأشكال.

صحيح أن محتواها من خلال ذلك محول إلى ذاتية مختلفة عن الذاتية البدائية *processus* ففي مسيرة التأويل هذه أنت أمام انقلاب للسير *processus* الخالق انقلاب بحيث يكون المؤول في عملية تأويلية أمام عملية اجتياز طريق الخلق بالمعنى المعكوس، والذي يكون من واجبه ذاتيته إنتاج ذلك من خلال الفكر. يتبع بيتي في ذلك شلاير ماخر ويظن بضمان هذا التيار النفساني المسيطر والرومانتيكي موضوعية الفهم كما يظن أنها مهددة من طرف الذين يتبعون هيدجر ويفشلون في ذلك لأنهم ذاتيون في تفكيرهم.

نجد أعمال إريك روتكاز Erichrotkez وبالأخص واصل أفكاره السامعة على الهدف التأويلي لديلتاي ضد أي تيار نفساني، أن مفهوم شكل الفكر الدوغمائي هو أمر شرع فيه على أنه مفهوم تأويلي يجب أن يدافع عن الدوغمائية كطريقة منهج منتجة للمعرفة في علوم العقل،

كما يبرر وتكاز ضرورة فصل مشكل التأويل عن كل عمل نفساني للنوايا intentionsles أي عن المعنى الذاتي للنص. ليس من اللائق اعتبار التأويل القانوني جزءا من إشكاليات التأويل العام، لأن الأمر لا يتعلق بتفكير من النوع المنهجي كما هو الحال في الفيلولوجيا والتأويل المسيحي ولكن الأمر متعلق بمبدأ في القانون وليست مشكلة، هو ما يتعلق بفهم المقولات القانونية المقبولة ولكن باكتشاف القانون أي تأويل القوانين أو الأحكام، بحيث يعم النظام كل الواقع لأن التأويل هنا يأخذ وظيفة قيمية، إنها منفصلة من طرف بيتي Beattie عن التأويل الفيلولوجي، وحتى منه هذا الفهم التاريخي الذي يتميز بموضوع ذو طبيعة قانونية "موثيق أحكام" و لا يمكن الإقرار بأن تأويل الحكم بالمعنى القانوني هو نشاط إبداعي للقانون. من البديهي أن التأويل القانوني لا يمكنه استعمال المبدأ الذاتي للرأي وللنية البدائية للمشروع وهذا كقانون تأويل، وفي كثير من الحالات لا يمكنه تجنب استعمال مفاهيم موضوعية كمفهوم الحق الذي يعبر عن نفسه في حكم معين. مصطلح التأويل قديم لكن هل هو مهمة نظرية وتطبيقية؟

إن الكلام اليوم عن التفسير والترجمة أو ببساطة عن الفهم هو أيضا سابق لفكرة علم منهجي مثلما طورته العصرية في الاستعمال الحديث للمصطلح، ينعكس بغرابة مظهرين الإشارة بالمرّة النظرية والتطبيقية لما يتضمنه التأويل، ومع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر كانت كلمة التأويل عند بعض الكتاب بأن هذا المصطلح أتى من دون شك من علم اللاهوت يدخل في الاستعمال العام وبأنه كان يشير فقط في الملكة التطبيقية للفهم.

وقد وجد هذا المصطلح عند الكاتب الألماني هنري سويم Heinrichseume (1874-1936) الذي كان تلميذ مويس mows في مدينة ليبزيش lipziz وكذلك عند جون بيتر هبل Johann Peter Hebbel (1760-1826) ولكن حتى مع شلايرماخر البادئ لتطور حديث للتأويل في اتجاه منهجية عامة للعلوم الإنسانية، يركز على واقع أن فن الفهم هو ضروري ليس فقط من أجل النصوص ولكن أيضا في العلاقات الإنسانية إذن التأويل هو أكثر من مجرد منهج

للعلوم، أو أكثر من مجرد امتياز عند بعضها. Paul (Ricœur,1986:240).

إن تردد كلمة مثل التأويل بين معنى تطبيقي ومعنى نظري فذلك ليس بالحالة الوحيدة، إننا نتكلم مثلا عن منطق أو غياب المنطق في العلاقات الإنسانية اليومية لكن دون الاعتبار من ذلك لوجود ميدان فلسفي خاص هو المنطق، كذلك الحال بالنسبة للخطابة التي تساعدنا على الإشارة بالمرّة إلى تعلم فن الكلام، وأيضا تطبيق هبة طبيعة وهبة الكلام غير كافية طبيعيا لا يمكن أن تعوض بتعلم منهجي، كذلك الحال بالنسبة لفن الفهم وبالنسبة للتأويل، وليس ذلك من دون أهمية بالنسبة لنظرية العلوم. ما هو هذا العلم الذي يظهر أنه يطور الهبات الطبيعية ويشجع على الفهم النظري؟ كيف يمكن تصنيف فن الفهم؟ هل التأويل هو قريب من الخطابة أم أنه يجب تصنيفه إلى جانب المنطق ومنهجية العلوم؟

هذه التساؤلات تظهر بأن مفهوم المنهج القاعدي بالنسبة للعلوم الحديثة قد عوض مفهوم العلم الذي كان مفتحا على الملكات الطبيعية للإنسان، إن في كل إرادة للمعرفة حتى في تلك الخاصة بالعلوم الحديثة للطبيعة، هناك تدخل لبعد التأويل هذا الأخير يشغلنا وهو الذي عرفته بالخطابة تعتبر مركزية حتى وإن كنا نجهل بأن التأويل الحديث هو نوع من البناء الذي تطور بالموازاة مع الخطابة إبان التجديد.

إن الفكر الأرسطي الراجع Melanchthon إلى فن الخطابة المتصورة من وجهة نظر نظرية العلوم، هي التي تفيدنا كهادي إن ملكات الكلام والفهم هي ملكات عامة يمكننا الكلام حول كل شيء وكل ما نقوله يجب أن يستطاع فهمه. من هذه الوجهة فإن الخطابة والتأويل جد مرتبطين، إن التحكم المدرك في هذه الملكات للكلام والفهم يظهر كاملا عندما يتعلق الأمر باللجوء إلى الكتابة بتدوين "خطابات" وفهم نصوص مكتوبة يمكننا النظر في التأويل بأنه فن جعل الأشياء التي قيلت أو كتبت تتكلم من جديد فقط الخطابة هي التي يمكنها تعليمنا ما هو هذا الفن.

تساءلت نظرية العلوم حول ماهية الخطابة التي تعتبر كعلم حول الذي يجعلها فنا بالانطلاق من التناقض المشهور بين فلسفة وخطابة في النظام التعليمي الإغريقي، فإن أفلاطون تساءل إذا ما كانت الخطابة معرفة بعد ما أرجع في مؤلفه Gorgias الخطابة إلى فن المدح، بعد مقارنتها بفن آخر وعارضها مع كل معرفة فعلية، فإن أفلاطون ركز في مؤلفه Phèdre على إعطاء أكثر عمقا للخطابة وعلى إيجاد تبرير فلسفي لها. (Paul Ricœur, 1986:125)

مثل هذه الخطابة لها نفس الميل إلى التعميم مثل الجدلية، إذ أنها غير منحصرة في ميدان معين مثلما هو الحال عادة بالنسبة لحسن التصرف المختص technos لذلك فإنها كانت في صراع مع الفلسفة وأنه كان بإمكانها التنافس معها باعتبارها تعليما تحضيريا عاما. والحال أن مؤلف Phèdre يبحث على إيضاح بأنه إذا أرادت مثل هذه الخطابة الهامة تجاوز الإطار الضيق لتقنية معدلة فإنها تنتهي بالضرورة بالإدماج مع الفلسفة مع مجمل المعرفة الجدلية، هذا التوضيح يهمننا لأن براهين Phèdre لأجل جعل الخطابة أعلى من مجرد تقنية وجعلها معرفة تقنية فعلية technos حسب تعبير أفلاطون يجب أن نتمكن من الانطباق على التأويل، فن الفهم هذا. هكذا يتعلق الأمر بالخطابة الفلسفية المتنبئة من طرفه وبالتالي التأويل يمكن للخطابة إذن أن تكون مجرد تقنية، أو علم إذا جعلت من نفسها جدلية وحده يعرف فعلا خوض خطاب ذلك الذي يمكنه الإجابة لأنه قادر على الإقناع يمكن أن يكون هذا أيضا فنا. (Pascal Michon, 1996:15).

مع ديلتاي تغيرت أمور كثيرة وجرت أقلام كثيرة عن الخطابة والتأويل، فلم ينجح في تجاوز النزعة العملية والموضوعية للمدرسة التاريخية التي حاول تجاوزها، كما عارض المثالية المطلقة وحاول تأسيس الهرمينوطيقا على وقائع إمبيريقية خالية من أي عنصر ميتافيزيقي، ونظر إلى الفهم كما فعل شلايرماخر على أنه إعادة معاشة وبناء لخبرة المؤلف وأنه من ثم مماثل لفعل الإبداع. لقد جدد ديلتاي مشروعه الهرمينوطيقا العامة وخطابها إلى الأمام لقد وضعها في أفق التاريخية، وأرسى الأسس لتفكير هيدغر في زمانية الفهم الذاتي، هكذا يمكن أن نعتبره أبا للتأويلية المعاصرة.

حلقة فن التأويل:

يعود الفضل إلى "فلاسيوس felacejus في تأسيس حلقة فن التأويل وهذا حسب رأي ديلتاي والتي تنقل من الفهم الكلي للمعنى الذي يختزنه النص إلى فهم أجزائه، بمعنى أن التأويل يعود إلى الفهم الكلي للنص على أن تفهم أجزاء هذا الأخير النص وعكسه. على سبيل المثال تأويل الكتب المقدسة كما يرى ديلتاي بفهم كل كتاب أو بالأحرى كل مقطع انطلاقا من الدلالة العامة لمجموع الكتب، وهاته الدلالة تشكل من فهم كل جزء على حده، إلا أن ديلتاي ينتقد فلاسيوس على أن قراءة كل كتاب تختلف باختلاف الظروف التاريخية والاجتماعية وكذا الاستعمالات اللغوية.

كما يرى غادامير القاعدة الهرمينوطيقية ترى أن الكل يجب فهمه انطلاقا من الخاص، والخاص انطلاقا من الكل متأثرا من فن البلاغة القديم، وهو منطبق مع الأزمنة الحديثة التي نقلت ذلك من فن الخطابة إلى فن الفهم في الحالتين نقوم بعملية دائرية التنبؤ، بالمعنى حيث سيكون الكل في ذلك مستهدفا لا يسمح بفهم واضح إلا إذا عينت الأجزاء المحددة تبعا للكل. هي أيضا هذا الكل وهذه التجربة تقوم بها في تعلمنا اللغات الأجنبية نحن أولا نتعلم تكوين جملة قبل محاولة فهم المعنى اللساني لأجزائها، لكن مسار التكوين هذا الارتقاب إذا كان يقتضي ذلك ولكن الارتقاب تتغير نبرته وأن ارتقاب جديد للمعنى هو الذي يوفر للنص وحده المعنى، ومن هنا حركة الفهم تتطلق دائما من الكل نحو الجزء تعود للكل انسجام كل الأجزاء مع الكل، هو في كل مرة معيار صحة الفهم وغياب هذا النوع من الانسجام يدل على إخفاق في الفهم.

يقيم غادامير التأويل على أساس مقولة الفهم understanding والفهم عنده يبدأ عندما "يخاطبني شيء ما" وجواب الفهم على هذا الخطاب هو إعادة بناء الأسئلة التي يمثل الشيء نفسه محاولة للإجابة عنها وبناء الأسئلة يتمثل ، فالفهم عنده هو ادراك في الكشف عن إمكانات الشيء وابقائها مفتوحة العلاقة ما يسمى "الدائرة التأويلية" فالفهم ينشأ من العلاقة الدورية بين الكل وأجزائه، بمعنى إدراك الكل للمحيط بالشيء والمستوعب من قبل الكل وأجزائه أو بين العناصر

الذاتية والموضوعية وهذه الأجزاء ثم تنتقل إلى التمعن بالأجزاء التي تحدد وظيفتها التوضيحية فبإطار ذلك الكل. يريد غادامير أن يقدم التأويل بوصفه علاقة دائرية جدلية بين تكهن دلالة الكل وتفسيره اللاحق للأجزاء، إن فهم الخطاب الموجه في النص الأدبي يعني فهمنا للحضور الذاتي للمؤلف وإدراكنا شمولية السياق الروحي له. (غادامير، 2007: 409)

ميز شلايرماخر هذه الدائرة الهرمينوطيقية عن كل وعن الجزء تبعا لشقها الموضوعي والآخر الذاتي فالكلمة الخاصة تندرج داخل سياق الجملة، ومن جهة أخرى النص نفسه المفهوم على أنه تمظهر للحظة الخلق هو جزء من كل الحياة الروحية للمؤلف لا يمكن للفهم أن يكتمل إلا ضمن شمولية من هذا النوع بنظامها الموضوعي أو الذاتي. (Hans Georg, Gadamer, cd:37). يستلهم ديلتاي من هذه النظرية عندما يتحدث عن البنية وعن التمرکز حول نقطة مركزية الشيء، الذي يسمح بفهم الكل بمعنى أنه يحول مكان يعتبر مبدأ للفهم إلى العالم التاريخي أي مبدأ فهم النص انطلاقا من النص نفسه. هنا نتساءل عما إذا كانت الحركة الدائرية لفعل الفهم مفهومة بشكل جيد وبدون شك يمكننا أن نضع جانباً ما عالجه شلايرماخر ضمن ما سماه التأويل الذاتي، عندما نحاول فهم نص معين فإننا لا نستنسخ المكونات الروحية للمؤلف، وإنما نستنسخ وجهة نظره ولكن ذلك يعني فقط أننا نحاول تقييم الصحة الداخلية لما يقوله الآخر عندما نريد أن نفهم نذهب إلى غاية تعزيز حجج المؤلف. Hans (Georg, Gadamer, cd:74). فمهمة الهرمينوطيقا هي توضيح العمل الرائع للفهم.

التحليل الوجودي عنده يدغري عطي من جديد البنية الدائرية للفهم مدلولها العميق، يقول: "لا يمكن للدائرة أن تنزل إلى مستوى الدور الفاسد وتعرض نفسها لخطر استمرار هذا الدور تختفي في الدائرة إمكانية موضوعية لمعرفة أصيلة أكثر، لا يمكن السيطرة عليها بطريقة صحيحة إلا أن فهم التأويل أن مهمته الأولى الثابتة والأخيرة

ليست أن تعطي في كل مرة كسبها السابق، وافترضها السابق وتصورها السابق المرتبط بمفاهيم سائدة ولكن أن تؤكد طرحها العلمي انطلاقا من الأشياء نفسها بعد فهمها وإعدادها". Hans Georg, (Gadamer,cd:89)

ليست صياغة هيدغر دعوة لممارسة الفهم ولكنه بالأحرى يتبين نموذجها لإنجاز التأويل الذي يبحث عن فعل الفهم قيمة التفكير الهرمينوطيقي عنده، لا تكمن في البرهنة على وجود دائرة الفهم ولكن على أن هذه الدائرة تمتلك معنى أنطولوجي موجب. يظهر هذا الوصف بديهيا عند كل مؤول يعرف ماذا يفعل في الواقع كل تفسير صحيح يجب أن يتجنب اعتبارية الأحكام الارتجالية والتقيد المفروضين طريق عادات الفكر المتجذرة حتى يمكنه أن يوجه اهتمامه نحو الأشياء ذاتها. إن الفلسفة والعلوم الإنسانية المعاصرة على وعي جذري بالمهمة التأويلية والعلوم الإنسانية وتطبيق نماذج مناهجها في العلوم الاجتماعية والأنثروبولوجية.

كل منلوفي شتراوس (Lévi-Strauss) 1902-1829 ودولوز (Deleuze) (1925-1995) إلا دليل موضوعي على التبنّي العام لمنهج التأويل، من حيث هو تفسير المجهول بالمعلوم وإعادة تأسيس سياقات المعرفة الإنسانية كنتاج لغوي أولا يتطلب القراءة.

إن الهرمينوطيقا كمفهوم عند غادامير حددها في كتابه "حقيقة ومنهج"، لكن ماذا يعني بهذه الفلسفة الهرمينوطيقية؟ كيف نستطيع تمييزها عن التقليد الرومانسي الذي بدأ معشلاير ماخر الذي بحث عن تعميق الاتجاه الفيلولوجي القديم قبل أن يصل إلى هرمينوطيقا العلوم الإنسانية لدليلتي التي يمكن اعتبارها منهجية؟

الخاتمة:

أخيرا ومن خلال ورقة بحثنا توصلنا إلى نتائج عامة يمكن أن نذكرها في شكل عناصر كالتالي:

لعل السفسطائية مثلث عتبة مهمة في تطور الفلسفة والتأويل عبر طرحهم الشك المعرفي، فكان يمثل خروج عما هو مهيمن وسائد ولعل

هذا سيدعل من الشك أحد الوسائل التي سوف تعاود الظهور عبر تاريخ الفلسفة التأويلية، كلما تحولت المعرفة سلطة غير قابلة للنقد إلا أنه من ناحية أخرى سوف يحفز الآخرين في الرد والدفاع وهذا ما حصل وأدى إلى المزيد من عقلنة التأويل والخطابة.

نقول إن مسعانا من هذه المساهمة البحثية هو الرجوع لخطابة أرسطو خاصة في مؤلفه الخطابة جعلته منظرا للدرس الحجاجي فالخطابة الأرسطية تزخر بمقومات وركائز حجاجية واستراتيجيات إقناعية متنوعة مغايرة ومناهضة للخطابة عند السفسطائيين، فأخذت منعطفا في مجال تداول الخطاب، وجعل الإقناع يحل محل التأثير بمعنى الإقناع الذي يتطلب حجج تحترم القيم عكس التأثير الذي غير أخلاقي مبدؤه الغاية تبرر الوسيلة وبالتالي قنن أرسطو القول الخطابي.

شهد العلم تقدما سريعا مذهلا مع العلماء مقارنة مع رجال الدين في العصور الوسطى الذين لم يمكنه إحراز أي تقدم، فالعلم لا يقبل إلا ما هو علمي وقد حاول المتدينون تفسير النصوص الدينية، وهذا ما أدى إلى ظهور تفسيرات متعددة لتأويل هذه النصوص، فاللغة العلمية واللغة الدينية مختلفان الأولى تعتمد على العقل والثانية على الوحي الذي تبقى لغته شعورية عاطفية.

إن الفرق بين تأويل غادامير وريكور يكمن في أن الأول ضد الوعي المنهجي الذي يخص الفهم والتفسير بمعنى عدوه منهجية ديلتاي أما عدو ريكور فهو ضد التأويلية Anti herméneutique التي لا تعتقد في المعنى تماما، فاهتمامه منصب على ادراك المعنى فالعلامات والنصوص ترد دائما إلى نفسها، ويعتمد على التحليل المتأني لبيّن بأن النص يتحدث عن شيء ووجود ليس هو الخطاب. إذن غادامير يتكلم عن تأويلية ظاهرية أما ريكور عكسه يتكلم عن ظاهرية تأويلية.

هناك تعريفات مختلفة للهرمينوطيقا كما تطورت في الأزمنة الحديثة ومنذ البداية كانت الكلمة تشير إلى علم التأويل، وخاصة مبادئ التفسير النصي القديم، غير أن حقل الهرمينوطيقا قد تم تأويله بترتيب زمني إلى: نظرية تفسير الكتاب المقدس

-ميثودولوجيا فقه اللغة العام

-علم كلي لفهم لغوي

-الأساس المنهجي للعلوم الإنسانية(الروحية)

-فيثومينولوجيا الوجود والفهم الوجودي

يمكن القول أن تطور الهرمينوطيقا فيه تسلسل فالهرمينوطيقا بوصفها نظرية تفسير الكتاب المقدس تخصص فيه حقل اللاهوت وبمقتضياته، فقد اتسع فيما بعد ليشمل الأدب ويشمل النصوص بمختلف أنواعها مع ظهور حركة الإصلاح البروتستانتي. والهرمينوطيقا بوصفها المنهاج الفقهي اللغوي الفيلولوجي حيث كانت نشأة المذهب العقلي rationalisme تزامن معه ظهور فقه اللغة الكلاسيكي في القرن الثامن عشر، أثر عميقا على تأويل الكتاب المقدس حيث نشأ المنهج التاريخي النقدي في اللاهوت.

أما الهرمينوطيقا بوصفها علم الفهم اللغوي مثله شلايرماخر ومثل ديلتاي الهرمينوطيقا بوصفها الأساس المنهجي للعلوم الإنسانية وتبقى الهرمينوطيقا بوصفها فيثومينولوجيا الدارين وفيثومينولوجيا الفهم الوجودي مثله هيدغر الذي أطلق على التحليل الذي قدمه في كتابه الوجود والزمان اسم هرمينوطيقا الدارين.

لقد حاول غادامير إنشاء أنطولوجيا جديدة تتجاوز فهم الوجود إلى حدث فهم الفهم، بدءا من السؤال السقراطي مرورا بأفلاطون وأرسطو وكانط وديكارت وهيغل وماركس وفرويد وصولا إلى السؤال الهيدغري. ونظريته التأويلية كانت المنعطف الأنطولوجي الحاسم le tournant الذي بدأ شعلته الأولى مع هيدغر لهذا تعتبر فلسفة غادامير تكميل لمشروع هيدغر الأنطولوجي فقد حاول استعادة الذات المجردة في الميتافيزيقا التقليدية. هكذا يبقى مشروع غادامير الهرمينوطيقي لا ينحصر على الوعي الذاتي بل في الوجود وخاصة في الطبيعة اللغوية للوجود الإنساني في هذا العالم.

إن التباعد هو الذي يدفع ريكور إلى الأنطولوجيا على الطريقة الهيدجرية، غير أن وعيه بالتناهي لا يمنعه من العودة للمشكلات الإبيستمولوجية للتأويلية، وهذا يعني أنه لئن أصبحت المعرفة تأويلا وإن كان الإمساك بالكائن لا يتم إلا بواسطة العلامات والرموز فإن

التأويل ليس عملا اعتباطيا غير قابل للتغير والضببط وإنما هو طريقة تحتاج باستمرار إلى تنقيتها من شوائبها وإلى رسم حدودها. يقول ريكور: "يحملنا الرمز على التفكير" يظهر من قوله برمزية الوجود الإنساني.

من خلال هذه المقاربة انطلاقا من السفسطائيين مروراً بأرسطو والمفكرين الغربيين في مسألة الخطابة التأويلية، ندرك أن الخطابة ولدت التأويل، والذي كان له الفضل في تفسيرها وفهمها وهذه الإشكالية مهدت لفلسفات متعددة لاحقة، اعتمدها العقل الإنساني في الوقت الراهن على يد فلاسفة معاصرين انطلاقاً من المرجعية القديمة.

المراجع:

- أحمد محمد الحوفي، (1948). فن الخطابة، القاهرة، مصر: دار النهضة.
- أرسطو طاليس، (1989). الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي بيروت، لبنان: دار القلم.
- ألفرد إدوارد تايلور، (1992). أرسطو، ترجمة عزت قرني، ط1 بيروت: دار الطليعة
- بول ريكور، (2003). نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى ترجمة سعيد الغانمي، ط1، الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي.
- بن حسن، حسن، (1992). النظرية التأويلية عند بول ريكور، الطبعة الأولى، مراكش: تينميل للطباعة والنشر.
- حمادي صمود، (2019). أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربي من أرسطو إلى اليوم، ط1، تونس: جامعة الآداب والعلوم الإنسانية.
- كرم، يوسف، (دس). تاريخ الفلسفة اليونانية، ط جديدة، بيروت/لبنان: دار القلم.
- د.كولد، يونان، (2011). التضليل الكلامي وأليات السيطرة على الرأي "الحركة السفسطائية نموذجاً"، ط1، القاهرة، مصر: دار النهضة العربية.

- محمد العمري، (2002). **في بلاغة الحجاج الإقناعي**، ط1، المغرب: إفريقيا الشرق.
- مجموعة مؤلفين، (2011). **التأويل والهرمينوطيقا**، دراسات في آليات القراءة والتفسير، ط1، بيروت: لبنان: دار القلم.
- مارتن هيدغر، (2004). **كتابات أساسية**، ترجمة اسماعيل المصدق الجزء الثاني، القاهرة، مصر: المجلس الأعلى للثقافة.
- سعيد جلال الدين، (1998). **معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية** طبعة أولى، تونس: دار الجنوب للنشر.
- عادل مصطفى، (2003). **فهم الفهم، مدخل إلى الهرمينوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير**، مصر: مؤسسة هنداوي.
- عمر أوكان، (2001). **اللغة والخطاب**، ط1، المغرب: أفريقيا الشرق.
- غادامير، هانس (1999). **مدخل إلى أسس فن التأويل**، ترجمة شوقي الزين محمد، مجلة فكرونقد، العدد 16، الدار البيضاء.
- غادامير، هانس (2007). **الحقيقة والمنهج، الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية**، ترجمة حسن ناظم وجورج كتورة، ليبيا: دار أويا.
- غالي، ميلاد زكي، (2000). **الله في فلسفة القديس توما الإكويني**، ط1 الإسكندرية، مصر: دار النهضة.
- حمادي، حميد، (1993). **رسالة ماجستير، مذكرة الجمالية والكشف الصوفي، النزوع الجمالي في التجربة الصوفية محي الدين بن عربي** إشراف محمد عبد اللاوي، جامعة وهران.
- شوقي الزين، محمد، (1993). **فن التأويل**، المشكل المنهجي والإبستمولوجي لدلالة الفهم، في النقد والتأويل، وهران: نص مداخلة.
- ابن منظور الأنصاري الإفريقي، (1414هـ). **لسان العرب**، الطبعة الثالثة، بيروت، نشر: دار صادر.
- ابن حزم الأندلسي، (دس). **الإحكام في أصول الأحكام**، الجزء الأول: دار الكتب المصرية.
- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني
- مراد وهبة، (1979). **المعجم الفلسفي**، ط3، القاهرة، مصر: قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

-موسوعة لالاند الفلسفية،(1996). ترجمة خليل أحمد خليل
طبعة 1 في ثلاثة أجزاء المجلد الأول، بيروت، باريس: منشورات
عويدات.

-Hans Georg Gadamer, **La philosophie Hermétique**,
Hermétique classique et philosophique, tradition et note par,
Jeneg rondin PUF.

-Isabelle Mural, **Petite encyclopédie philosophique**,
LouisMillet, nouvelle: édition, universitaire.

-pascal Michon,(1997). **condition théoriques**, d'une histoire
du sujet, papiers n39 (2) séminaire.

- Paul Ricœur, **la contrée des philosophies**, lecture2:édition
de seuil.

-Paul Ricœur,(1986). **ce qui me préoccupe revue, esprit**
depuis 30ans" nr8- 9,

-Schleiermacher,(1977). **Herméneutique**, l'odeur du book:
paris, France,

- la rousse, **Dictionnaire du français**, jean du bois: collage
direction

- la lande André,(1962). **vocabulaire technique et critique de**
la philosophie: neuvième édition.

-jacqueline Russ,(1991). **dictionnaire de philosophie**, bordas

-**The Cambridge dictionary of philosophy**,(1999).Editor
Robert Audi Cambridge University press, London: second
edition general.

-Merriam-**Webster, s collegiate dictionary**, (2003).
Incorporated dictionary, Springfield Massachusetts11th.ed:
USA

-**La rhétorique d'Aristote**, (1856). Traduire en français par Norbert Bonafous, Délibératif, Genre judiciaire et Genre Epidictique : paris, a. durand.

للإحالة على هذا المقال:

- محمد بن صابر، (2021)، « التأويل والخطابة من أرسطو إلى الفكر الغربي المعاصر ». المواقف، المجلد: 17، العدد: 01، جويلية 2021، ص.ص 1199-1233.